# شعر الصيد والطرد في الموصل
## أرجوزة عثمان بكتاش الموصلي (ت١٢٢٢هـ) أنموذجاً

**أ.م.د. أحمد حسين محمد الساداني**[*]

تاريخ استلام البحث
٢٠١٣/٥/٥

تاريخ قبول النشر
٢٠١٣/٧/١٥

**ملخص البحث**:
تناول البحث دراسة أرجوزة الشاعر عثمان بكتاش الموصلي (ت١٢٢٢هـ)، في الصيد والطرد يصف فيها خروج والي الموصل سليمان باشا الجليلي (ت١٢١١هـ) وأصحابه، للصيد بالطيور والحيوانات، والصيد بالسلاح الناري، عرض فيها الشاعر جمال الموصل، وذكر أهم مناطق النزهة والصيد فيها، وأنواع الطيور والحيوانات الصائدة والمصِيْدة، وصفاتها وطرائق الصيد بأسلوب شعري خالٍ من الأخطاء اللغوية والتعبيرية والعروضية، مستفيداً من القرآن الكريم واشعار الشعراء والتراث، وهي أرجوزة فريدة من حيث كثرة الوسائل المستخدمة للصيد وكثرة الطيور والحيوانات الواردة فيها، والجانب التاريخي والمعرفي، مع طريقة العرض الشائق في أرجوزة تجاوزت مئة وعشرين بيتاً.

[*] استاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل.

## Poet Fishing and expulsion in Mosul
## Argosh Osman bektash Musli (d. 1222) model

Assit. Prof .Dr. Ahmed Hussain Muhammad AL-Sadani

**Abstract:**

**The research study argosh poet Osman bektash Musli (d. 1222), hunting and expulsions carried out by Suleiman Pasha, to Galilee and his companions, including fishing by birds and animals, hunting by firearm, showing where the poet the of connector, female pleasure and hunting areas, and the types of fishing and birds and animals hunted, recipes and fishing methods with a beautiful hair style free of language errors and expressive and the prosodic, taking advantage of the Holy Quran and poets and heritage, which argosh unique frequent means used to catch many birds and animals, The historical and cognitive aspect, with interesting view on argosh exceeded a hundred and twenty**

### تمهيد

للصيد دور كبير في حياة الامة العربية عبر العصور، "لأنه ضربٌ من ضروب الرزق ومتعة من متع النفس ولون من ألوان الحرب أيام السّلم[١]"، وبمرور الزمن ازداد الاهتمام به وكثرت أدواته من الاسلحة والطيور والحيوانات، وانشغل به العامة والخاصة، وكلّ حسب اهتمامه وحاجته، أي أن الفروسية والصيد "رافقت الحياة العربية في الجاهلية، ولازمتها في العصور الإسلامية وتلقت نصيبها من التطور... وصار من سمات الفتى الفارس أن يجيد الرمي والصيد ويتقن الفروسية والطرد"[٢]، وعليه وجد الصيد والطرد قبولاً واسعاً لدى الطبقات الخاصة من الخلفاء والوزراء وعلية القوم، فخصصوا له الاموال في التدريب واقتناء الطيور والحيوانات وتضريتها "حتى غدت تلك العجماوات أدوات مسخرات بيديه يوجهها أنّى شاء فزاد

ذلك في صيده"[٣]، وقد وجد هذا الجانب صداه لدى الشعراء الذين مارسوا الصيد، أو رافقوا الخلفاء والولاة وسجلوا أحداث الصيد في قصائد شعرية خاصة سميت بالطرديات[٤]، بعد أن كانت أشعاراً تذكر خلال قصائد متعددة الاغراض.

أما مدينة الموصل فقد عاشت في فترة الحكم الجليلي ١١٣٩-١٢٤٩هـ، نوعاً من الاستقرار والحكم المحلي، وشاع فيها الأمن والرخاء، وكان الوالي يتمتع بتأييد الحكومة المركزية في استانبول، لمشاركتهم في الدفاع عن الدولة ضد العدو الخارجي، مع استتباب الأمن في الداخل، لذلك مُنحوا بعض الألقاب كالوزير والباشا، وقلدوا الشارات والرتب العالية[٥]. هؤلاء الولاة وأولادهم كانت لهم نزهات وفترات راحة يقضونها في أطراف مدينتهم ويمارسون صيد الطيور والحيوانات الموجودة بكثرة في ذلك الوقت.

وللشاعر عثمان بكتاش الموصلي (ت١٢٢٢هـ)[٦]، الذي عرف بشاعريته وقوة نظمه، ووصف الاحداث الجارية في زمانه. من خلال مصاحبة الولاة الجليليين، له أرجوزة شعرية في الصيد والطرد، يصف فيها مدينة الموصل بأرضها وبساتينها ومياهها وطيورها. فالطرديات "أراجيز نظمها العباسيون، تصف ولع الخلفاء والوزراء وعِلية القوم بالصيد، وكيف كانوا يخرجون اليه في مواكب حافلة، ومعهم البزاة والصقور والكلاب..."[٧]. واستمرّ هذا الأمر في العصور التالية لذلك نظم عثمان بكتاش أرجوزته التي وصف فيها خروج الوالي الجليلي الى الصيد والطرد، وعرض فيها جميع الاحداث المتعلقة بالصيد جميعها، بدأها بـ"مقدمة" تناسب موضوعه، قال فيها:

١- ريحُ الصَّبا طارتْ مِن الأوكارِ    مسبولةَ الجناح بالأمطارِ
٢ - وأقبلتْ في قلم التصوير    تكتبُ في صحيفة الغدير
٣ - سطورَ بَسْطٍ وسرورٍ وفَرَحْ    تجلُبُ للرائي نشاطا ومَرَحْ[٨]

أجاد الشاعر في مقدمة أرجوزته، فلم يبدأها بذكر الليل والخروج قبل الفجر على طريقة أغلب الشعراء[٩]، لكنه تطرق الى وصف طبيعة الموصل، ممهداً لموضوعه الأساس، فالصيادون من طبقة خاصة، ضمتْ والي الموصل وأخاه واصحابه، ففي القصيدة تجديد لما سبق، إذ أشار الى أرض الموصل الطيبة وذكر أحلى أيامها وأجملها في وقت الربيع، قائلاً: "ريحُ الصَّبا" ففي الصّبا بشائر الخير والبركة بنزول المطر[١٠]. فكان الابتداء بمطلع القصيدة مناسباً للمقصود "لأنه أوّل ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه"[١١]. واستخدم الشاعر التشخيص، فأعطى للجماد بعض صفات الاحياء، واستعار للريح أجنحة تطير بها لتسقي أرض مدينته، وتمتلىء الجداول والغدران، فتعطي صوراً رائعة من خلال هبوب ريح الصَّبا على وجه الماء، يجد فيها المرء الراحة والهدوء، وكأنّ الشاعر استفاد من وصف المعتمد بن عباد (ت٤٨٨هـ) لحركة الريح على وجه الماء في قوله:

صَنَعَ الريحُ من الماء زَرَدْ

فتجاوبه إحدى جواريه: أيُّ درع لقتالٍ لوجَمَدْ[١٢]

هذه الصور من المياه وحركة الريح، فيها دلائل الفرح مع بداية فصل الربيع، يستمر الشاعر في عرض مباهجه قائلاً:

٤ – تحدّثَ الماءُ بها مع الحصى وسَلْسَلاً عن النسيم القصَصا

٥ – وخطبَ الهَزارُ في شجونِ شوقاً على منابر الغصون[١٣]

٦ – وأضحتِ الوُرْقُ على الأوراق جاذبةَ القلوبِ بالأطواق[١٤]

قدم الشاعر صوراً أخرى، منها: تشبيه جريان الماء وحركة الحصى من خلالها بما يدور بين الأصحاب من كلام هادئ، بسرد القصص المشوقة ومن خلال النسيم العليل الذي يهب بعد سقوط المطر، مع تغريد الطيور بأصواتها الشجية، لتجلب انتباه الناس وتزيد من فرحهم وسرورهم، وقد أفاد الشاعر من موشحة لسان

الدين بن الخطيب الأندلسي (ت٧٧٦هـ) في وصف حركة الماء مع الحصى ومن ثم تشخيص الورد والآس في قوله:

تنهبُ الأزهار فيه الفُرَصا        أمِنَتْ مِن مُكَرهٍ ما تتقيـــهْ
فإذا الماء تناجى والحصى        وخلاَ كـلّ خليلٍ بأخيــــه

*********

تبصرُ الورْدَ غيورا برمــا        يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآسَ لبيبــاً فهمــا        يسرقُ السّمعَ بأذني فرَس[١٥]

وأراد عثمان بكتاش أن يعطي أبياته جمالاً أكثر من خلال الموسيقى الداخلية بتكرار بعض الحروف البارزة التي تجلب الانتباه، فتكــرر حرفــا الــصاد والسين في البيت الأول ست مرات، مع حرفي الشين والنون خمس مرات في الثاني ثم حرفي القاف والواو تسع مرات في البيت الثالث، ومعظمهــا حــروف مجهــورة صفيرية أو شفوية تُضفي على الأبيات جرساً موسيقياً ترتاح لها النفــوس، وهــذا يعني "تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغماً موسيقياً يتقــصده الناظم في شعره"[١٦]، وقد تكرر ذلك في أرجوزته كثيراً.

كل تلك الصور الرائعة التي أظهرها الشاعر أعطت دلالة واضحة لما حصل على الأرض بعد نزول المطر، فقال:

٧ – في روضةٍ بديعة الأزهار        ترنو اليها أعُينُ النَّـــوَار[١٧]
٨ – فيها النواعيرُ سَقاةُ التُربِ        ومرضِعاتُ زهرها والعُشْبِ
٩ – جميعها لدى الحنيــن قلبُ        وكيف لا والماء فيها صبٌّ
١٠– تدور حول الشجر الجداولُ        كأنها في سُوقها خلاخِلُ[١٨]

فالمطر والريح والطيور المغردة والأرض المعشبة، جعلت من المدينة روضة زاهية بأنواع الزهور، فهناك النَّوار بصورتها الجميلة شبه دوران أوراقها بمن ينظر من خلالها في صورة بصرية، وصورة النواعير التي اشتهرت بها الموصل في ذلك الوقت، مشبها مياهها الجارية التي تسقي الأرض، وتنبت بعدها الأزهار والأعشاب بصورة حركية، كأنها أمهات ترضع أطفالها الصغار، ومعلوم أن هذه النواعير في دورانها تسحب الماء الى الأعلى، فتجري تلك المياه على الأرض، يُصاحبها صوت دوران تلك النواعير لتعطي أكثر من صورة، الأولى: تشبيه صوتها عند الدوران بحنين القلب لمن يشتاق من الأصحاب ، فشبه صورة حسية بأخرى معنوية، كذلك شبه جريان المياه من خلال السواقي بجريان الدماء في عروق البشر، وهذه المياه التي تدور حول سيقان الأشجار كأنها خلاخل الحسناء، في صورة بصرية حركية، كل ذلك يدل على سعة أفق الشاعر وخياله الخصب في إبراز هذه الصور المشوقة؛ "وبذلك تصدرُ حركية الصورة عن الوعي والخيال، وتنشط بالذاكرة، لتجعلنا نتأمل العلاقة بين جزيئات الصورة ووحداتها بعد أن تحتضن الحركية في أنساقها الجمالية أنظمة الحركة والأشياء المتحركة بزوايا متعددة وبرؤية تفاعلية تستند الى الشمولية..."[١٩].

وتوسع الشاعر في وصف مدينته وما فيها من نعم وخيرات وأنواع الزهور والنبات، فقال:

١١ – ما بين وردٍ مُسفرِ اللّثام ... وجنبُذٍ يضحك في الأكمام[٢٠]

١٢ – قد ضَمّهُ في الغُصْنِ قَرْصُ البردِ ... ضمَّ فمٍ لقُبلةٍ من بُعْدِ

١٣ – يا حبذا حديقة كالجنّة ... لها مِن الكرْم المُدلّى جُنّة[٢١]

١٤ – أقاحُها فاتحة الثغور ... تروم عضّ إصْبَع المنثور[٢٢]

١٥ – والوردُ في أنامل الأغصان ... كأنه خواتمُ المَرجان

١٦ - وأعُينُ النرجس والنَّــــــــوّار          شاخصةٌ تنظُر صنْعَ الباري[٢٣]

جمع الشاعر هذه الأنواع وأعطاها صفة التشخيص مع الحركة، فهناك الورد المتفتح بصورته الكاملة، والجنبذ الذي لم يخرج من أكمامه بعد، مشبهاً بداية فتح الأكمام وخروج الأوراق بمن يضحك في صورة بصرية، ثم عرض لنا صورتها ثانية، ففي الصباح تتجمع أوراقها داخل أكمامها نتيجة برودة الليل وغياب الشمس، شبه الشاعر تلك الحالة بصورة القبلة الصادرة من فم شخصٍ لآخر بعيد عنه، في صورة حركية بصرية تدل على براعته في اختيار الأوصاف والتشبيهات المتقاربة، أما أقاحها بأوراقها البيض فهي مفتحة كأنها أسنان تريد عضّ أوراق ورد المنثور لطيب رائحتها، وزهرة الورد بلونها القرمزي تشبه خواتم المرجان، لكن النرجس والنّوار بأوراقهما المفتحة، ينظران ويتعجبان من قدرة الخالق في هذا النعيم والجو البهيّ كأنها جنّة الله في أرضه. ويحاول الشاعر أن يستخدم بعض الفنون البديعة، ليعطي النّص حركة موسيقية لجلب الانتباه، كالجناس الناقص مثلا بين (الَجنة والجُنّة) وغيرها من الاستعارات والتشبيهات والصور الحركية، يساعده على ذلك الروي المزدوج الذي يوفر "للقارئ طاقة موسيقية فوق طاقة البحر"[٢٤].

عرض الشاعر هذه الصور ليعطي مدينته (الموصل) منظراً جميلاً يرضي الممدوح ويناسب الغرض الأساس في أرجوزته، فقال:

١٧ - لله أرضُ الموصل الحدباءِ          كم لبِسَتْ مِنُ بردةٍ خضراءِ

١٨ - أمّ الربعين وأختُ العُشْبِ          وبنتُ أزهار الرّبى والأبّ(٢٥)

فمن حق الشاعر أن يفخر ونفخر معه بجمال الموصل التي اكتست بهذه الألوان الزاهية، لذلك سميت بأم الربيعين، وكان تصرفه بالألفاظ والعبارات (أم – أخت – بنت – الأب) بمعانيها الجديدة، قد أعطى صوراً تستحق الانتباه لقدرة الشاعر على توظيف الألفاظ والمعاني.

## فضاء الصيد وطبيعته:

معلوم أن نجاح الصيد مرهون باختيار الأرض التي تكثر فيها الطيور والحيوانات وبعد أن وصف الشاعر مدينته وصفاً عاماً، بادر الى ذكر أهم مناطق النزهة والصيد فيها، بعضها ما زال باقياً، وبعضها الآخر أندرس ولم نعرف عنه أي شي، يقول:

١٩ – أنعِمْ بوادي دَيْرها والواسَطِهْ ... وادخُل الى الروض بغير واسِطَهْ[٢٦]
٢٠ – وبادر اللّذة في العُوَيْنَةْ ... وامشِ اليها المِشْيَةَ الهُوينَهْ[٢٧]
٢١ – واسبقْ الى الجوسَق سبقَ الناقدِ ... فالسّبْقُ للحسنى مِن المحَامِدِ[٢٨]
٢٢ – وإن تَرُمْ وصْفَ الرّبى والأنهر ... حدّثْ عن الربيع أو عن جَعْفَر[٢٩]
٢٣ – لا تلتفِتْ الى سوى الغَزْلاني ... ومِلْ الى نحو قضيب البانِ[٣٠]
٢٤ – وانتهز الفرصةَ إنّ الفرصَهْ ... تصيرُ إنْ لم تنتِهْزها غُصّهْ
٢٥ – أهلا بها مواطن الكريم ... تُعْرفُ فيها نضرةُ النّعيم[٣١]

عرف الشاعر بالمناطق المشهورة في الموصل آنذاك، وتبين –من خلال المصادر التي أحلنا اليها في الهامش– أنها كانت أماكن نزهة يخرج اليها الناس في الأعياد والمناسبات وغيرها، لقضاء أوقات فراغهم أو للصيد، منها: وادي الدير – الواسطة – العونية – الجوسق – الغزلاني – قضيب البان.

ونرى أن الشاعر حاله حال بعض الشعراء – أطال "في وصف الأرض والنبات ومظاهر الطبيعة الاخرى ليرضي الباحثين والمعجبين..."[٣٢] فضلاً عن إرضاء من يرافقهم من الولاة.

وبعد هذا الوصف دعا الشاعر الناس للتمتع بجمال مدينتهم والسفر اليها، كونها تُنسي المرء همومه، فقال:

٢٩ – فاغْنمْ أويقاتِ الهنا والأمن ... فإنها تنفي شُعوب الحُزْنِ

٣٠ – ولا تَقُل مشتى ولا مصيفُ      فكـــلُّ وقتٍ للهنــا لطَيــفُ

٣١ – كلُّ زمانٍ يتقضّى بالجذَلْ      فهو لعَمري كلّما دارَ اعتــدَلْ

٣٢ – أعذبُ ما يَمرُّ مِن أوقاتهِ      حيث الربيعُ الحلوّ مِن لذّاته[٣٣]

فقد وصف الشاعر الطبيعة وبين جمالها تمهيداً لموضــوعه الأســاس فــي الصيد والطرد، لذلك أجاد في موضوعه، كون الأمر يخصّ صيد الخاصة من الوزراء وأولادهم في وقت الربيع عند اعتدال الجوّ مــع خــضرة الأرض وكثــرة الطيــور والحيوانات، فــ"هناك مواسم مشهورة حبذ العرب القنص فيها، واختاروهــا للــصيد والطرد، معتقدين أنّ عملهم يكون مجديا فيها، وصيدهم أكثر وتوفيقهم أضــمن"[٣٤]. ثم انتقل الشاعر انتقالاً حسناً إلى غرضه المقصود وأجاد في عرض مشاهد الصيد وطرائقها، منها:

**أ – الصيد بالجوارح**:

مهّد الشاعر لموضوعه إذ عّرف بالصائدين وطريقــة خــروجهم للــصيد، مشيراً إلى الصيد بالطيور المدربة كالباز والشاهين والصقر فقال:

٣٣ – صيدُ الملوكِ الصّيْدِ فيه والقنَصْ      وحوزُهُم مِن مُرِّه أحلى الفُرَصْ

٣٤ – لا ســـيما صــيدا بني الممجّدِ      محمدِ الغازي الأمين الأمجـــدِ

٣٥ – أعني ســـليمانَ الوزيرَ العالي      ذُخْرَي آبا نعمان ذا النــوال[٣٥]

٣٦ – والمرتجى الأميرَ بحرَ الجــود      محمّدَ المولى أبا محمـــود[٣٦]

تحول الشاعر الى غرضه الأساس، في وصف رحلة الصيد التي قــام بهــا أولاد الوزير محمد أمين باشا الجليلي (ت١١٨٩هــ) الى أطراف المدينــة، وفــيهم الوالي الوزير سليمان باشا (ت١٢١١هــ) وأخوه محمد أمين باشا (ت١٢٢١هـــ) مع مجموعة من الأهل والأصحاب، فهم يسيرون على طريقة أسلافهم في الخــروج

للصيد "في جماعات صغيرة ترأسها شخصية كبيرة، وزير أو قائد أو والٍ أو أمير وأحياناً الخليفة نفسه، وتضم بعض المقربين، ومن بينهم الشاعر الأثير بطبيعة الحال..."[٣٧]، ويتابع الشاعر وصفه لرحلة الصيد فيقول:

٣٧ – لما تجّهزا الى صيد الحجلْ    وزال عن وجْهِ الشياهين الخجلْ

٣٨ – ساروا بأمنٍ والجيوشُ تجري    من حولهم عند طلوع الفجر[٣٨]

بدأت رحلة الصيد هذه، وقد تجهزوا بكل ما يحتاجونه من أدوات الصيد المعروفة آنذاك، مشيراً إلى "صيد الحجل" لكثرة وجوده في مناطق الموصل، والى رفع القناع عن الطيور الصائدة بزوال الخجل، موضحاً وقت الخروج للصيد (عند طلوع الفجر)، وهي مسألة مهمة تعارف عليها شعراء الصيد والطرد بأن الخروج للصيد يكون في الصباح الباكر، وكان بعضهم يخرج لوحده أمثال أبي نؤاس وغيره، فتكررت لديهم لفظة "وقد أغتدي"[٣٩] وما شابهها، لكي يتمكنوا من الطيور والحيوانات وهي لم تزل في أماكنها أو لأنها لم تأخذ قواها بعد[٤٠].

فالصيادون (الوالي وأخوه ومن معهم) خرجوا للصيد برعاية الجيش، كونهم من الطبقة الخاصة، ويتابع وصفه قائلا:

٣٩ – وأدركوا الصيدَ ضُحى نهارِ    وأطلقوا كواسرَ الأطيارِ

٤٠ – من كلِّ بازٍ مُسْبِلِ الجناح    مُواصِلِ الغُدوّ بالرّواح

٤١ – في صدره حروفُ وَشْيٍ تُقْرا    مكتوبةٌ بها الضيوفُ تُقْرى[٤١]

بدأ الطرد عند وصولهم الى مكان الصيد، واستخدموا أولاً طيورهم المدربة فكان أولهم الباز، وهو نوع من الجوارح معروف بـ"سرعة انقضاضه، حتى قيل أنه أسرع من السهم"[٤٢]، مع قوته وطول نَفَسه "وهو خفيف الجناح سريع الطيران ويسهل عليه أن يزجَّ بنفسِه صاعداً أو هابطا، وينقلب على ظهره حتى يتلقف فريسته"[٤٣]، وهو "أبيض الصّدر مع توشيم"[٤٤]، لذلك ذكر الشاعر تلك الخطوط

الملونة على صدره ، مشبها إياها بحروف الكتابة الدالة على كرم صاحبه الــوزير، بما يصيده ويقدم للضيوف ، دلالة على كثرة صيده.

منذ البداية نجد عناية الشاعر بوصف وسيلة الصيد، وقلــة التطــرق الــى طريقة صيدها أو وصف الطيور والحيوانات المَــصيدة -حالــه حــال كثيــر مــن الشعراء(٤٥)، لذا يستمر في وصف هذه الطيور المدربة وابراز محاسنها وما تتمتــع به من فنون الصيد، إرضاءً لمالكها، يقول:

٤١ – وكــلّ شاهيــنٍ كغيمٍ خيّمــــا　　　وبارقٍ طــار ورعْدٍ ارتمــى

٤٢ – إذا هـــــوى منحدراً مِن أفْقِهْ　　　ملتزماً طائــرَه في عُنُقِــــهْ

٤٣ – كمنجلٍ من الحـــديد مِخْلَبُــه　　　لحصدِ أعمار الكراكي تحسَبُهْ

٤٤ – يصعَدُ خلف الرزق ليس يُمْهِلُهْ　　　بقوّةٍ من الســـماء يُنْزِلُــــه

٤٥ – ذو مُقْلــةٍ ضِــــرامُها وقـــادُ　　　يَشوي بها ما صادَهُ الصّيادُ(٤٦)

أطال الشاعر في وصف الشاهين، فهو طير جارح مــن الــصقور "أخــضر الظهر أبيض البطن طويل الجناحين قصير العنق"(٤٧)، وعندما يصعد الــى الــسماء يعلو غيره من الطيور ويسيطر عليها، لكونه "اســرع الجــوارح كلهــا وأشــجعها وأحسنها تقلبا واقبالاً وإدباراً وأشدها ضراوة"(٤٨). لذلك شبه الشاعر سرعته بالبرق والرعد، عند اختياره الفريسة وانحداره اليها بقوة، مستفيداً من ألفاظ وتراكيــب القــرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾(٤٩)، كيف لا وهو يصيد بمخلبه الذي يشبه منجلا مِن حديد يحصد به أعمار الكراكي، تلك الطيور الكبيرة التي نــرى أسرابها في السماء وقت الربيع(٥٠)، ويريد الشاعر أن يعطي هذا الطير (الــشاهين) صفات التفوق في الصيد، واصفاً نظراته الحادة التي تخشاها الطيور فتستسلم بمجرد رؤيتها له، وكأنها نيران قوية تشوي بها ما تصيده. ومعركة الصيد هــذه مــستمرة بأكثر من طير جارح، يقول:

٤٧ – وكلّ صَقْرٍ قاصفِ الأعمارِ　　　يُحرّفُ الطيرَ عن الأوكارِ

٤٨ – فكم جلا منِ حَجَلٍ عن وكْرِ　　　وكم محا لطائرٍ مِن ذكرِ[٥١]

كثُرَتِ الصورُ أمام الشاعر، فهو لا يطيل في وصف الصقر "والعرب تُسَمّي كل طائر يصيد صقراً ما خلا العقاب والنسر"[٥٢]، ومن صفاته المحمودة أن يكون "مجدول البدن مستدير المنخرين طويل الجناحين والذنب عاري الساقين حاد المخالب قصير المنسر..."[٥٣]، لذا وصفه الشاعر بأنه قاصف أعمار الطيور، فعندما يلحقها تنسى وكرها، خاصة الحجل المعروف بطيب لحمه، مما يسمى بدجاج البر[٥٤].

نرى كثرة وسائل الصيد من الطيور عند الطبقة الخاصة، وهي تدل على الترف الذي ينعمون به، فهناك البازي والشاهين والصقر، وغيرها، يقول:

٤٩ – وكلّ سُنْقُرٍ جليلِ الشانِ　　　مُحْتَمَلٍ على يد السلطانِ

٥٠ – معظّمٍ عالي الجنابِ منتخَبْ　　　يسمو على أوج العُلا إذا انتصَبْ

٥١ – يا ما أحيلاها طيورَ صَيْدِ　　　لازمةً أيدي الملوك الصِّيْدِ

٥٢ – عديمة الأشباه والأنظار　　　وهي لَعمري نُزهةُ النُّظّار

٥٣ – طيورُ صَيْدٍ بأسُها مُرَوّعُ　　　كأنّها للوحْشِ جنّ تَصْرَعُ

٥٤ – أفلحَ من كانتْ على يُمْناهُ　　　لقد غدتْ تحسدُها يُسراه[٥٥]

والسنقرُ نوع آخر من الطيور الجارحة، "أعظم من الصقر وأجمل منه صورة"[٥٦]، وهو طير نادر يمتاز بقيمته وقدره العالي، وهو من هدايا الملوك[٥٧]، خصّه الشاعر بالوزير الوالي (سليمان باشا)، واصفاً سرعة طيرانه وكثرة صيده، كأنه جنٌّ يصرَعُ الطيور، فالشاعر تجاوزَ المحسوسات في تشبيهه إلى الأمور المعنوية مبالغاً في وصف هذه الطيور، وفي البيت الأخير صورة بصرية شيقة، فمن يحمل هذه الطيور بيمناه، تحسده اليسرى، لتشرفها بحملها، فكان الطباق بين اليمنى

واليسرى جميلاً وملفتا للنظر، فإن حسدت إحدى اليدين الأخرى فما هو حال الآخرين؟

ويستمر الشاعر في وصف السنقر وما يصيده من الطيور:

٥٥ – تَحُثُّ في مسيرها خلفَ الحَجَلْ فيرتمي في السهل من رأس الجبلْ
٥٦ – تبني على الكَسْر حروفَ الكيّ وتُعْربُ الضمَّ عن الكُركيّ
٥٧ – رافعةً إوَزّةً منقرضَةْ خافضةً جملَتَها المُعْتَرِضَةْ
٥٨ – شديدةً تسطو سُطا الحجاج على الغرانيق مع الدّراج
٥٩ – لم تَلْوِ عن سَبَيْطرٍ ممتازِ ولم تَمِلْ عن أسودٍ عَنّازِ
٦٠ – كأنها والطيرُ منها هاربٌ خلفَ الشياطين شهابٌ ثاقبُ
٦١ – واثقةً بالرزق حيث كانا تغدو خِماصا وتجيْ بطانا
٦٢ – ولم تزلْ تنحَرُ في الطيور حتى غدتْ داميةَ النّحور
٦٣ – ممدوةً على الثرى قد حصلَتْ ولم تَسَلْ (بأيّ ذنْبٍ قُتلت)[٥٨]

بعد وصف السنقر وذكر محاسنه، أسهب الشاعر في طريقة صيده والطيور التي يصيدها، وأولها الحجل، الذي يرمي به من الأعلى فيتجمع على الأرض مستخدما بعض مصطلحات النحو من البناء والكسر والضم والرفع والخفض والاعراب، في صيد الطيور الموجودة في ساحة الصيد كالكركي، وقد تصادف في طريقها الأوز فترفعها بمنقارها وترميها إلى الأرض، في صورة بصرية حركية تدل على قدرة هذا الجارح وقوّته على صيد الطيور من الغرانيق وهي من أنواع الكراكي[٥٩]، مع الدراج، مشبهاً تلك الحالة بسطو الحجاج على الرعية[٦٠]، فهو لم يترك طائراً يلقاه، حتى تلك التي لا تؤكل لحومها كالسبيطر[٦١]، والأسود العناز[٦٢]، فاصبحت الطيور في رعب شديد، فهربت وهي تلحقها، وأعطانا صورة بارعة مأخوذة من القرآن الكريم في قوله تعالى:(إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ

ثَاقِبٌ)[٦٣]، فالجارح في متابعته للطيور وهي هاربة تشبه شهاباً يلحق بالشياطين في تشبيه مركب وبصورة حركية وبصرية ملونة.

هذا الجارح (السنقر) ميمون في سعده واثق من صيده، فما أن يُطلقَ ويطير في السماء حتى تراه يعود حاملاً صيده في صورة منتزعة من حديث الرسول (ﷺ) في قوله "لو أنكم كنتم تَوَكّلون على الله حقّ توكّله لرزقتم كما تُرزق الطيرُ تغدو خماصا وتروح بطانا"[٦٤]، ومن صور الطباق في وصف هذا الجارح بين "خماص – بطان"، وهو لا يزال في صيده حتى سالت دماء الصيد على نحره، لا يرعى في الطيور إلاً ولا ذمة مقارناً التمادي في صيد هذه الطيور بقتل المؤودة في الجاهلية لقوله تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ(٨) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ)[٦٥] فهذا الصيد لم يكن طلبا للرزق، بل للنزهة، فكانت لكثرتها ممدودة على الأرض. عكس ما كان يقوم به عددٌ مِن الصيادين في طلب الرزق، ويقضون في البراري أياماً حتى يتمكنوا من صيد طائر أو حيوان ليطعموا أطفالهم الجوعى[٦٦]، لذلك أجاد الشاعر عندما قال "ولم تسل بأيّ ذنب قتلت"، فالشرع الإسلامي يُحرِّمُ قتل الطير أو أي شيء آخر دون الحاجة اليه[٦٧].

**ب – الصيد بالحيوانات**:

بعد أن استنفذ الشاعر طاقاته في وصف الصيد بالطيور، تحوّل إلى الطريقة الثانية التي استخدمها الولاة في صيدهم، باستخدام الحيوانات، فهناك الفهد وكلب الصيد، يقول:

| | |
|---|---|
| ٦٤ – يدوُر فيها موكبُ الفرسانِ | إذا انجلى صبحُ النهار الثاني |
| ٦٥ – بكلّ فَهْدٍ عنتريّ الشان | إذا تراءتْ عبلَةُ الغزلان |
| ٦٦ – مضارَعُ النّصْل بنابٍ ماضي | مستقبِلُ الأمرَ لدى التّراضي |
| ٦٧ – لا يُتْعبُ القلبَ إذا الصيدُ هرَبْ | لعجزه ولاُ يلحُّ في الطّلَبْ |

٦٨ – له على سطــح القــرونُ خَــطُّ　　　كألِفٍ منِ عنبـــرِ مختـــطُّ
٦٩ – في وزنـــه لم أرَ خطّــاً مثلَــهْ　　　لأنّه كتابـــــةُ ابـــنِ مُقْلَــةْ
٧٠ – يقضِمُ بالسنّ المها لدى الغضَبْ　　　ويَخْزِمُ العِرنينَ منه بالذّنبْ[٦٨]

نرى براعة الشاعر في تفصيل الأحداث، فكان اليوم الأول لــصيد الطيــور بالجوارح، واليوم الثاني لصيد الغزلان والأرانب بالحيوان كالفهد وكلب الصيد، وكان الترابط بين الأبيات سهلاً فقال: "يدور فيها موكب الفرسان"، بشطر واحد، ثم أشــار الى الفهد، لذلك لم نحسّ خلالها بأيّ انقطاع في الموضوع، بــل اســتمرّ الوصــف جميلاً، دالاً على قدرة الشاعر على عرض الــصور والأحــداث، والفهــد: "حيــوان البراري الأصيل الذي يعتمد في حياته على سرعته أكثر من اعتماده على قوته"[٦٩]، وهو "ضرب من السباع يُتصيّدُ به"[٧٠]، بعد تضريته وتدريبه، ويعــد "مــن جــوارح الملوك"[٧١]. كما يستخدم لصيد الغزلان بطرائق عدة، منها: المكابرة، أي: المواجهة، والدسيس: أي: المخاتلة، والخدانية، أي: اللّحاق بها من الخلف[٧٢]. فخصه الشاعر بصيد الغزلان في ارجوزته، وشبهه بعنترة في قوته وشجاعته، وشبه الغزلان هــذه بعبلة، آخذاً منها صفات الجمال والحسن، حتى أن الفهد عنــدما يــصيد الغــزلان لا يقتلها، بل يضمها الى صدره ويحاول تسليمها الى صاحبه[٧٣].

لقد استطرد الشاعر كثيراً في وصف الفهد، كما استطرد سابقاً في وصــف الطيور الصائدة، ذاكراً أنيابه وطول شِدْقِه وقوته في القبض على الفريسة، مستخدماً مصطلحات النحو، منها: "المضارع، الماضي، المستقبل، الأمر" لجلب الانتبــاه الــى موضوعه من خلال تنويع طريقة العرض، لشيوع هذه الطريقــة واســتعمال هــذه المصطلحات والتعابير في نتاجاتهم الشعرية في هذا العصر[٧٤]. فالفهد مطمئن مــن صيده، فهو لا يلح ولا يطارد فريسته طويلاً، ثم تطرق الى وصف هيأته، منها تلــك الخطوط المتناسقة فوق راسه، بلونها البُنيّ كالعنبر، كأنهــا مرســومة بخــط ابــن

مُقْلة[٧٥]، المعروف بجودة خطّه، واصفاً صيده للغزال عندما يضُمّه بين فكيه ورجليه الأماميتين.

ثم يتحول بانتظام الى نوع آخر من الحيوانات الصائدة، تلك هي كلاب الصيد المدربة، قائلاً:

٧١ – وكلّ خطّافِ الخُطى سَلُوقـي          يسبُقُ خيل الريح باللُّحـوق
٧٢ – ظامي الفواد ضامرِ الخواصرِ          يا عجباً منه لظامٍ ضامـرِ
٧٣ – يركُضُ في قوائمٍ لا تُتْبَـعُ          وكيف لا وهي الرياحُ الأربعُ
٧٤ – قاصَرةٌ عيناهُ عن يدْيـهِ          مشروطة أذناهُ في رجْليه[٧٦]

والكلب منذ القدم "يحرس صاحبه، ويحمي داره في حضوره وغيبته..."[٧٧]، واستخدمه الإنسان في صيد الحيوان، "فله معرفة عجيبة بالصيد وخبرة واسعة بطبائع الحيوانات المصيدة..."[٧٨]، خاصة الكلاب السَّلُوقية منها المنْسوبة الى مدينة سلُوق باليمن[٧٩]، لما تمتاز به من سرعة وخفة وزن، وكان لاستخدام رد الصدر على العجز بتعبير جميل مع حسن الايقاع في الجناس الناقص، دلالة على قدرة الشاعر على الملاءمة بين المعنى واللفظ في إظهار الصور الشعرية، وكلب الصيد معروف بسرعته الفائقة فلا تستطيع عيناه متابعة حركة رجليه، لذلك يشرط (يجرح) أذنيه الطويلتين برجليه في أثناء جريه، وهي مسألة أكدها غيره من الشعراء في تاريخ الشعر العربي[٨٠].

وبعد وصف الكلب، يتحول الى وصف طريقة صيده، قائلاً:

٧٥ – إذا رأى الغزالَ في الروض سرَحْ          يظهرُ النّار إذا الزّنْد قـدَحْ
٧٦ – كأنّما نابـاتُـه خَنَاجِـرُ          شُقَّتْ مِن الظّبا الحَنَاجـرُ
٧٧ – لا يُمْهِلُ الصيدَ ولا يخـونُ          كأنّ كلّ جسـمهِ عيـونُ
٧٨ – يُعانقُ الظبـيَ عنـاقَ وامِـقِ          ما كان أغنى الظبيَ من معانِقِ
٧٩ – وخلفَ كلّ ارنبٍ يعـدو زغَرْ          لم ينْجُ منـه ثعلب إذا دغَرْ

٨٠ - يقصُرُ –إذ يروغُ– عنه الثعلــبُ فكيف ينجو منِ يديــه الأرنبُ
٨١ - فيا له من زَغَرٍ علــى عجَــــلْ يُفتّشُ البينَ إذا اختبى الحَجلْ[٨١]

أمعن الشاعر في وصف طريقة صيد الكلب من خلال سرعته ودقة أســنانه التي شبهها بالخناجر حال قبضه على الغزال، مع حرصه وأمانته في الحفــاظ علــى فريسته وتسليمها الى صاحبه. وأجاد في تشبيه صيده بالعناق، لكنه عناق من نــوع آخر ومن جانب واحد، فالظباء في غنى عن هذا العنــاق، لكنهــا مرغمــة عليــه، "فالكلاب الجيدة لا تدمي فرائسها، لأنها تضمها اليها كضمّ الكواعب أولادها، وتحفظه سليماً رعاية للأصحاب، وهذا يــومىء إلــى حــسن تــدريب وفريــد عنايــة فــي تعليمها..."[٨٢].

صيد هذا الكلب متنوع، فهو معروف بصيد الأرانب، يعلم طرائق أختفائهــا وحيلها[٨٣]، كذلك يصيد الثعالب إذا صادفته في طريقه، فلا ينجو منه ثعلب مــاكر أو أرنب ماهر في عدوه واختبائه، كما أنه مشهور –عدا الحيوانات– بصيد الحجــل لأن طيور الحجل معروفة باختبائها تحت الأعشاب وبين الصخور، عند شعورها بــالخطر فتلتصق بالأرض، فالكلاب تتبع أثرها بحاسة الشم لديها.

**جـ - الصيد بالسلاح الناري**:

ذكر الشاعر طريقة ثالثة استخدمت في رحلة الصيد هذه، وهي جديدة، لــم اسمع بها –حسب اطلاعي– عند غيره من شعراء زمانــه، إذ ظهــرت فــي عــصر الشاعر بعض الأسلحة النارية التي استخدمتها الدولة العثمانية للأمن والدفاع، وكان للولاة الجليليين نصيب منها، وكانت نادرة وخاصة بالدولة فقط، فاستخدمها الــولاة وابناؤهم في صيد الطيور والحيوانات، وهي مسألة مهمة أشار اليها الشاعر، تــدل على وجود ذلك النوع أيام الشاعر، وأجاد في وصفه وطريقة استخدامه قائلا:

٨٢ - حتى إذا تمّتْ فصولُ الصيــدِ مُدّتْ مدافعٌ فويقَ الأيــــدي
٨٣ - تكاثرتْ في وصفها الأقــوالُ لّما حكى الشّشخَانَة القوالُ[٨٤]

٨٤ – واهاًلها شُهْبُ رصاصٍ تخطِفُ　　　شاهدَها بالرّجم حيَن تقذِفُ

٨٥ – لا تقبلُ الدعوى بغيـــر شاهدِ　　　لا سيّما ما كـــان مِن معانِدِ

٨٦ – إنّ العدوَّ قولــــه مـــردودُ　　　وقلما يُصَدّقُ الحســـــودُ

٨٧ – تجرَحُ كلَّ سائــــح نَفُــــورِ　　　كأنّه بعضُ شهــــودِ الزورِ

٨٨ – طويلةٌ قصيرةُ الأوصــــالِ　　　قاطعةُ الأعمار والاعمال(٨٥)

وكان الانتقال موفقاً في المرحلة الثالثة من رحلة الصيد، ولم يتعد الـشطر الأول من قوله: "حتى إذا تمّت فصول الصيد" تحول بسهولة الى موضـوعه الجديـد فقال: "مُدّتْ مدافعٌ فويق الأيدي"، أي الصيد بالسلاح الناري، وهو –كمـا وصـفه– سلاح طويل يوضع في اليد وعلى الكتف، وينظر بموازاة أعـلاه الـى الحيـوان أو الطير الذي يراد صيدهُ، فتطلق منها رصاصة الى الهدف، وهي أسهل من غيرها من الطرائق، لذلك شاع ذكره بين الناس في الدفاع والهجوم، أو للصيد فيما بعد، وكـان يسمى (الششخانة)، حتى أن الشاعر تعجب من دقة إصابته للهدف فقـال "واهاًلهـا" مشبها إياها بطريقة رجم المذنب، فهي قاتلة في أغلب الاحيان، كما هو حال الـرجم عند المعصية، فهذا السلاح لا يغفر لمن يصوّبُ نحوه، فيقتله أو يصيبه، ويـستطرد في وصف السلاح الجديد، حاله حال الجوارح أو الحيوانات الصائدة، فيقول:

٨٩ – تنظرُ في عينٍ الى القِنـاصِ　　　قاتلةً الوحوش بالرصـــاصِ

٩٠ – كأنّما جوهُرهــــا المُحلّقُ　　　جدول ماءٍ بالحصـى يَرَقْرَقُ

٩١ – لها بناتٌ من رصاصٍ خُلِقتْ　　　مِن طينـــــةٍ واحـدةٍ تَخَلقتْ

٩٢ – كالرعد إلاّ أنها كالبـــــرقِ　　　والريح إنْ هبّتْ بأثرِ الوَدْقِ(٨٦)

فصّل الشاعر القول في طريقة استخدام السلاح الجديد، فالقانص لا بـد أن ينظر من خلاله بعين واحدة الى فريسته، ومن ثم يضغط على الزناد ليصيب هدفـه بالرصاصة التي تطلق من فوهته، والجميل هنا وصفه لأنبوبة السلاح، فشبه بياضها

وصفاءها بجدول ماءٍ صافٍ، تطلق منها الرصاصة بسرعة فائقة كالبرق أو الريح في صورة بصرية وحركية مركبة، بعدها يصف قوة هذا السلاح، قائلا:

٩٣ – تباً لها كم أحْرقتْ مِن قلبٍ    وكم وكم قد خَرّقتْ من لُبِّ

٩٤ – حتى غدتْ كلُّ الوحوش صَرعى    مجموعةً على التراب جَمْعا

٩٥ – على الرُّبى مِن دمها خَلُوقُ    كأنّ كلاً فوقها شَقيقُ[٨٧]

٩٦ – كأنّ أقطارَ الفلاة مجزَرَهْ    أو روضة من الدِماءِ مُزهرهْ

٩٧ – كأنّ صرعى وحشها كفّارُ    فالموتُ عُقبى أمرها والنارُ[٨٨]

يتعجب الشاعر من فعلها ويخشاها، كونها لا ترحم، فيدعو عليها بقوله: "تباً لها" لكثرة ما قتلت من الطيور والحيوانات الممدودة على الأرض، وكأنه يأسف لهذا العدد الكبير من الصيد دون الحاجة اليه، وربما أثر فيه الوازع الديني والنفسي، لأن "المجتمع الإسلامي لم يكن يرتاح لهذا اللعب بالضّواري والتهالك عليها، وأن أصحاب التقى كانوا ينكرون ذلك على من يفعله..."[٨٩]، فلم يتمكن الشاعر من الإجادة، عندما وصف دماءها الجارية على الأرض وشبهها بالطيب والزعفران، وشبه لونها الأحمر بشقائق النعمان المعروفة بحمرتها، فمن غير المقبول تشبيه الدماء بالشقائق، وهذا ما أكد عليه الشاعر عندما شبه أقطار الفلاة، أي ما حوله بالمجزرة، ولعل الشاعر، تأثر بابي نواس (ت١٩٨هـ) في وصف كثرة الصيد، فهو "يجعل من صورته هذه مجزرة تسيل فيها الدماء وتتناثر الأحشاء ويختلط الدم بالطين"[٩٠]، ولم يُصب الشاعر عندما شبه تلك الطيور والحيوانات ودماءها بروضة مزهرة، فمتى كانت الرياض مزهرة بالدماء؟ وأضاف اليها تشبيها آخر مُشبهاً تلك الحيوانات الممددة على الأرض كأنها كفار خرجت عن الطاعة، فكان جزاؤها الموت، فقتلت بالسلاح، لذا كان ذلك سبباً في انقراض بعض هذه الحيوانات يقول أحدهم: "ولا يصح أن ننكر الماضي بناءً على ما نراه في الحاضر، فإن الغزلان التي كانت تملأ جزيرة العرب آخذة بالانقراض لكثرة ما يصاد منها بالوسائل الحديثة، حتى أن

بعضهم يصيد بسيارته ومدفعه الرشاش ما يناهز الخمسين غزالاً في اليوم..."[٩١]، عليه نقول أن استخدام السلاح في الصيد لا يعطي المتعة التي يجدها المرء عندما يصيدها بغيرها من الوسائل، فهي أكثر أمناً واقل خسارة على الحيوان، لذا كان وصف الشاعر بهذه الصورة المرعبة، وزاد في ذلك أنه أريد منها اللهو والمتعة.

**خاتمة الارجوزة:**

بعد أن تمت عملية الصيد بالوسائل المتاحة، وتحقيق الهدف منها في النزهة والمتعة –كما ذكرنا–، وسجل الشاعر أحداثها جميعاً، ختم أرجوزته بمدح الصيادين من الوالي الوزير وأولاده ومرافقيه في تلك الرحلة السعيدة، بين فيها قوة الوالي وعدله بين الرعية، مع كرمه، وهي صفات أكد عليها الشعراء قديماً "فقد أغدق الشاعر على الصائدين المترفين صفات عالية..."[٩٢] يقول:

| | |
|---|---|
| ٩٨ – لله صيدٌ قد تقضّى بالهنا | وعودةٌ تُخبرُ عن نيل المُنى |
| ٩٩ – مُذ بشرتنا بالملوك الصيد | مِن بعد أن نالوا المنى بالصيد |
| ١٠٠ – وعاودوا في حُلَلٍ من ظفَرْ | يسعَوُن كالنجوم حول القمرْ |
| ١٠١ – أهلاً به مِن قمرٍ مُنير | ومن وزيرٍ ملكٍ خَطير |
| ١٠٢ – ما خيمَّ الذليلُ في جنابهِ | إلاّ وكان العزُّ مِن أطنابه ّ |
| ١٠٣ – لا ظُلَم تلقى في حماهُ العالي | إلاّ على الأعداء والأموال |
| ١٠٤ – أما ترى الدينارَ منه في وجَلْ | إصفرَّ في ايدي العُفاة مِن خجَلْ[٩٣] |

وجاءت الخاتمة ملائمة لموضوعه الأساس، استطاع الشاعر أن ينهي أرجوزته كما بدأها، ففي الانتهاء "آخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس"[٩٤]، فقد عادوا جميعاً فرحين بما حققوه من لذة، قد لا يجدون لها نظيراً في غيرها من الهوايات[٩٥]، وهم يسيرون بزهو كالنجوم حول الوزير سليمان باشا، والي الموصل آنذاك، ذاكراً صفاته واخلاقه الحميدة، فقد جعل من الممدوح مثالاً يتحول "بحركية الصورة التي تحتويه مِن سلطوية الواقع الذي يتمظهر فيه الى سلطة أنموذج

تصطنعه اللغة"[٩٦]، وفي البيت الأخير صورة بصرية لونية رائعة، إذ ربط بين لـون الذهب الأصفر الذي يعطيه للمحتاجين، وكأنه (الذهب) قد إصفَّر خجلاً، لا بسبب لونه، واخيراً يعتزّ بهذه الأرجوزة التي ظهر من خلالها قوة الشاعر، فقال:

١١٨ – أتاك مِن وُرْقِ قريضي مَدْحُ　　　له بأوراق الطُّروسِ صَدْحُ
١١٩ – أرجوزة ليس لهـا مثـالُ　　　أبياتُها جميعُها أمثـالُ
١٢٠ – من كلِّ بيتٍ شطرُه قصيـد　　　وكلّنـا لبيتـكُم عبيـدُ
١٢١ – حسبُك أنّي شاعرٌ فصيـحُ　　　وحسْبُ شعري أنّه صحيح[٩٧]

فهو يفتخر بأرجوزته التي خلّدت هذه الظاهرة الفريدة فـي الموصـل فـي عصره، وسجل الاحداث والأماكن والطيور والحيوانات والوسائل التـي اسـتخدمت آنذاك، فهو شاعر متمكن أجاد في عرض صورة الصيد وأبدع فيها، كونها تعدّ مـن الوثائق الصادقة، ولتمكنه من "إغناء مشاهد الصيد بطائفة من المواقف المكملة مما وسع آفاقها ونفى الإملال عنها..."[٩٨]، من خلال وصف الطبيعـة وبيـان جمالهـا والاستطراد في وصف الطيور والحيوانات الصائدة، كونها مـن مقتنيـات الملـوك والولاة، كي ينال رضاهم، واستخدم الشاعر في أرجوزته بحر الرجز التام المـزدوج ملتزماً في شطري كل بيت حرفاً واحداً[٩٩]، أي أنها قامت على أسس اختلفـت عـن القصيدة العربية القديمة[١٠٠]، فللرجز خفة في الوزن، وتنوع فـي القافيـة يـسهل للشاعر التدرج في وصف الصيد ابتداءً من المقدمة والدخول في صلب الموضـوع حتى الخاتمة، مع الالتزام بالوحدة الموضوعية، مما يساعد على دفـع الملـل عـن السامع، وقد يصعب تحقيق هذه الأمور مجتمعة في غيـره مـن البحـور[١٠١]. لأن الرجز المزدوج "يتيح لمنشد هذه الطرديات وقفات متقاربة على حـروف متماثلـة، يقطع عندها الصوت في كلّ مرة ليستأنف من جديد"[١٠٢].

لذا نرى تكامل عناصر الطردية في أرجوزة الشاعر منها: وحدة الموضـوع الخاصة بالصيد والطرد، مع توافر عنصري الزمان والمكان، في إشارته الى وقـت

الربيع الذي حدث فيه الصيد، وعلى أرض الموصل ومناطقهـا الجميلـة وطيورهـا وحيواناتها الكثيرة، فضلاً عن الاحداث الجارية في عملية الصيد وما يرافقهـا مـن أمور وحتى الخاتمة.

ولعل الشاعر أفاد من صور الصيد لدى الشعراء السابقين في عصور الأدب العربي أمثال أبي نؤاس (ت١٩٨هــ)، وابن المعتز (ت٢٩٦هــــ)، وصــفي الــدين الحلي (ت٧٥٠هــ)، وغيرهم(١٠٣).

ودلت الارجوزة على سعة ثقافة الشاعر وتمكنه من خلال الإفادة من الشعر العربي القديم بمختلف عصوره، والقرآن الكريم وأحداث التاريخ والتمكن من اللغــة والنحو والعروض، وكان أسلوبه سهلاً وألفاظه ومعانيه واضحة من خــلال الــصور الجميلة التي عرضها مستخدماً التشبيهات والاستعارات، محاولاً تقريب الصور الــى أذهان السامعين.

واخيراً تساعد هذه الطردية وغيرها على توضــيح كثيــر مــن المفــاهيم والمعلومات التي يمكن الاعتماد عليها، كونها ارجوزة الصيد الوحيدة التي دلت على واقع العصر وظروفه، فهذا الشعر يعد مصدراً ممتازاً لعلم الجغرافية والتحولات التي جرت على الطبيعة والمتغيرات المناخية(١٠٤)، لذا نجد تغيير تلك الأماكن مــع نــدرة بعض الطيور والحيوانات عنها أو فقدانها.

## الخاتمة

بعد دراسة أرجوزة الشاعر نستخلص منها الأمور الآتية:

- قدرة الشاعر ودقته في نقل الحقائق والأحداث، وعرضها بأسلوب شيق خالٍ من الأخطاء، ومن خلال استخدام بحر الرجز مع تعدد القوافي.
- كثرة الطيور والحيوانات التي وردت في الأرجوزة، والتي انقرضت بفعــل عوامــل الطبيعة.

- تعدد وسائل الصيد بالطيور أو بالحيوانات أو بالسلاح الناري، دلالة على الترف والأثر الحضاري.
- القيمة التاريخية والمعرفية للأشعار التي تخص النواحي الاجتماعية والتاريخية والسياسية.
- أهمية الصيد والطرد أيام الشاعر، إما لحاجة الناس أو للترفيه.
- تمكن الوالي وحسن تدبيره في مدينته، ومن ثم قيامه بالنزهة بعد الجد والعمل.
- التواصل الاجتماعي مع الحضارة العربية القديمة.
- القوة والأصالة في كثير من النتاجات الأدبية في العصور المتأخرة، والتي غطت معظم مظاهر الحياة آنذاك.

## الإحالات والمصادر والمراجع

(١) البيزرة، أبو عبد الله الحسن بن الحسين، تعليق: محمد كرد علي، دمشق، ٥/١٩٥٣.

(٢) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، د. عباس مصطفى الصالحي، بغداد، ط١، ٤٩/١٩٧٤.

(٣) شعر الطرد عند العرب، دراسة مسهبة لمختلف العصور القديمة، عبد القادر حسين أمين، النجف، ١٥٧/١٩٧٢.

(٤) ينظر: شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د.عبد الرحمن رأفت باشا، بيروت، ط١، ١٥٨/١٩٧٤.

(٥) ينظر: الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي (١١٣٩ – ١٣٤٩هـ)، عماد عبد السلام رؤوف، النجف / ٥٥-٦١.

(٦) تنظر ترجمته وأهم مصادر شعره في: ديوان عثمان بكتاش الموصلي المتوفى سنة ١٢٢٢هـ، جمع وتحقيق ودراسة، اطروحة دكتوراه، أحمد حسين محمد الساداني، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الوهاب العدواني، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٦.

(٧) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، بيروت، ط٢-١٩٨٢/١٣٢.

(٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٢.

(٩) ينظر: شعر الطرد عند العرب، ١٩٧٢/١٥٣؛ وشعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ١٩٧٤/٧.

(١٠) ينظر: شعر الطرد عند العرب/٦٦.

(١١) الايضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقيق : لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالأزهر، القاهرة، د.ت، ٢/٤٣٨.

(١٢) ديوان المعتمد بن عباد، جمع وتحقيق: أحمد أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٥١/٧٤.

(١٣) الهزار: طائر حسن الصوت، (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مصر، ط٢، ٢/٩٨٤).

(١٤) ديوان عثمان بكتاش الموصلي ٢٠٢، والوُرْق: جمع ورقاء، وهي الحمائم. (المعجم الوسيط ٢/١٠٢٦).

(١٥) ديوان الموشحات الأندلسية، تحقيق: غازي سيد مصطفى، الاسكندرية، ١٩٧٩، ٢/٤٨٥.

(١٦) جرس الالفاظ ودلالتها في التعبير البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر حمدي هلال، بغداد، ١٩٨٠/٢٣٩.

(١٧) النَّوار: الزهر الأبيض، واحدته نوّاره. (المعجم الوسيط ٢/٩٦٢).

(١٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٢.

(١٩) حركية الصورة في شعر عثمان بكتاش الموصلي (ت١٢٢٢هـ/١٨٠٧هـ)، أ.م.د: شريف بشير احمد، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العدد ٦٢ لسنة ٢٠١٢/١١١.

(٢٠) الورد: زهرة طيبة الرائحة. (المعجم الوسيط ٢/١٠٤٢).

الجنبذ: الوردَ قبل أن يتفتح، وخُصّ به الجلّنار. (معجم النبات والزراعة، محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٩٨٦-٢٥٨/١).

(٢١) جُنّة: غطاء.

(٢٢) الأقاح: والأُقحوان: نبت زهره أبيض أو أصفر يشَبهُ ورقة الأسنان. (المعجم الوسيط ٢٢/١). المنثور: زهرة طيبة الرائحة. (م.ن: ٩٠٠/٢).

(٢٣) النرجس: نبت من الرياحين زهرته تشبّه بها الأعين. (م.ن:٩١٢/٢).

(٢٤) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٢٤٧.

(٢٥) ديوان عثمان بن بكتاش الموصلي ٢٠٢. والأبُّ: العُشْبُ رطبه ويابسه.

(٢٦) وادي الدير: أراد بها دير سعيد، وتقع بقاياه جنوبي الموصل التي تُسمى الآن بمنطقة الغزلاني. (الديارات، أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي (ت٣٨٨هـ)، تحقيق: كوركيس عواد، بيروت، ط٣، ٣٠/١٩٨٦، وتاريخ الموصل، سليمان الصائغ (ت١٣٨١هـ)، بيروت، ١٩٥٦-١٤٦/٣).

الواسطة: أشار المرحوم الدكتور محمود الجليلي: أنها تقع جنوبي الموصل أيضا، وكانت ذات بساتين وشجر، وهي أرض مطار الموصل الآن.

(٢٧) العوينة: لعلها عين الماء الجارية عند مرقد الشيخ زين الدين بن علي العويني، كانت تقع ظاهر مدينة الموصل. (تاريخ الموصل، سعيد الديوه جي٣٧/٢).

(٢٨) الجوسق: منطقة تقع جنوبي الموصل الآن، مشهورة ببساتينها، فضلاً عن العمران الذي وصلها الآن.

(٢٩) لعله يشير الى: الربيع بن يونس (ت١٦٩هـ)، أحد وزراء المنصور المشهورين بحسن الأدارة، واليه تنسب (قطيعة الربيع)، محلة كبيرة أقطعه المنصور في بغداد. (وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، ابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٧-٢٩٤/٢، والأعلام، خير الدين الزركلي، ط٤، ١٩٧٩- ٤٠/٣).

جعفر: إشارة الى جعفر بن خالد البرمكي (ت١٨٧هـ)، من مشهوري البرامكة ومقدميهم. (البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩ -٧٩/١، والاعلام ١٢٦/٢).

(٣٠) الغزلاني: منطقة تقع جنوبي الموصل، وعلى نهر دجلة، فيه مقام الشيخ محمد بن علي الغزلاني (ت٦٠٥هـ)، كانت مشهورة بالغزلان. (منهل الأولياء ٢/١١٠، وتاريخ الموصل، سعيد الديوه جي ٢/٢٨٨).

قضيب البان: منطقة معروفة تقع غربي الموصل في ظاهر باب سنجار، وفيها مقام الشيخ الحسين بن عيسى (ت٤٧١هـ) المعروف بقضيب البان، وكانت من أماكن نزهة الناس في الربيع. (ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء، أحمد بن الخياط الموصلي(ت١٢٨٥هـ)، تحقيق: سعيد الديوه جي، الموصل، ١٩٦٦/٧٠-٧٩، وجوامع الموصل في مختلف العصور ، سعيد اليوه جي، بغداد، ١٩٦٣/٢٦١).

(٣١) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٣.

(٣٢) شعر الطرد عند العرب/٣٠٩.

(٣٣) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٣.

(٣٤) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري /٨١.

(٣٥) هو سليمان باشا بن محمد أمين باشا الجليلي، ولد سنة ١١٥٢هـ، وولي الموصل سنة ١١٨٥هـ، واشتهر بالعدل والصلاح، ثم ولي ولايات أخرى أمثال: شهرزور – سيواس – مرعش – الرقة – قارص ، ثم عاد الى الموصل، وتوفي سنة ١٢١١هـ. (شمامة العنبر والزهر المعنبر، محمد بن مصطفى الغلامي (ت١١٨٦هـ)، تحقيق: د. سليم النعيمي، بغداد، ١٩٧٧/١٦٨، ومنهل الأولياء ١/١٨٦، وتاريخ الموصل، سليمان الصائغ ١/٢٩٣).

(٣٦) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/ ٢٠٣.

محمد: هو محمد باشا بن محمد أمين باشا، ولد سنة ١١٧٠هـ، عرف بنظم الشعر، وتنقل في الوظائف الأدارية ، وتولى الموصل أكثر من مرة، وتوفي سنة ١٢٢١هـ. (منهل الأولياء ١/١٨٩، تاريخ الموصل، سليمان الصائغ ١/٢٩٤).

(٣٧) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، محمد مصطفى هدارة، القاهرة، ١٩٦٣/٤٩٣.

(٣٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٣.

(٣٩) ينظر: شعر الطرد عند العرب/١٥٣، والصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/٨٥.

(٤٠) ينظر: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/٨٥.
(٤١) ديوان عثمان بكتاش الموصلي /٢٠٣ – ٢٠٤.
(٤٢) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٣١.
(٤٣) انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تقي الدين حمزة بن عبد الله الناشري (ت٩٢٦هـ)، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، ابو ظبي، ٢٠٠٢/٢٤٤.
(٤٤) معجم الحيوان، أمين المعلوف، بيروت، د.ت/١٠٦.
(٤٥) ينظر: شعر الطرد عند العرب/١٣١، وشعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٤١٤.
(٤٦) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٤.
(٤٧) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٣٤.
(٤٨) المصايد والمطارد ابو الحسن محمود بن الحسن الكاتب المعروف بكشاجم (ت٣٥٨هـ). تحقيق: د. محمد اسعد طلس، بغداد، ١٩٥٤/٧٨.
(٤٩) الاسراء، الآية/١٣.
(٥٠) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ٢/١٥٧.
(٥١) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٤.
(٥٢) انتهاز الفرص في الصيد والقنص/١٤٦.
(٥٣) معجم الحيوان/١٠٣.
(٥٤) ينظر: المصايد والمطارد/٢٧٢، وانتهاز الفرص/١٨١.
(٥٥) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٤.
(٥٦) معجم الحيوان/١٠٥.
(٥٧) م.ن/١١٤.
(٥٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٥.
(٥٩) ينظر: معجم الحيوان/٢٨.
(٦٠) الحجاج: إشارة الى الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ)، المشهور بسطوته (وفيات الاعيان ٢/٢٩–٤٥، الاعلام ٢/١٦٨).

(٦١) السَّبيطر: طائر طويل العنق، تراه ابداً في الماء الضحضاح. (لسان العـرب، ابـن منظور (ت٧١١هـ) بيروت – ١٩٥٦. (سبطر).
(٦٢) العَنّاز: اللقلق الأسود. (معجم الحيوان/١٣٢).
(٦٣) الصافات، الآية ١٠.
(٦٤) سنن الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ)، بيروت، ط١، ٢٠٠٠/٦٤٠.
(٦٥) التكوير، الآيتان ٨،٩.
(٦٦) ينظر: شعر الطرد عند العرب/١٣٠.
(٦٧) ينظر: شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/١٥٧.
(٦٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٥.
(٦٩) صيد الوحوش، د. حسن فرج زين الدين، مصر، ط١، ١٩٧١/١٥٠.
(٧٠) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٤٤.
(٧١) م.ن/٤٤.
(٧٢) ينظر: الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري/٢٠٠.
(٧٣) ينظر: شعر الطرد عند العرب/١٩٧.
(٧٤) ينظر: الأدب العربي في العصر الوسيط، د. ناظم رشيد، الموصل، ١٩٩٢/١٢٥.
(٧٥) إبن مُقْلة: هو محمد بن علي بن الحسين، الوزير العباسي، والخطـاط المـشهور، والمقتول سنة ٣٢٨هـ. (وفيات الأعيان ٥/١١٣-١١٧، الأعلام ٦/٣٧٣).
(٧٦) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٥.
(٧٧) إنتهاز الفرص في الصيد والقنص/١٥.
(٧٨) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٤١.
(٧٩) حياة الحيوان الكبرى ٢/٢٩١.
(٨٠) ينظر: شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٤١، والصيد والطرد في الـشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/١٩٥، وشعر الطرد عند العرب / ١٥٣.
(٨١) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٥، والبين : الأرض الممتدة.
(٨٢) شعر الطرد عند العرب/١٨٥، وينظر: الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، شرح وتحقيق: د. يحيى السامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦-٢/٢٢٦.

(٨٣) ينظر: شعر الطرد عند لعرب/١٧٨.
(٨٤) الششخانة: سلاح ناري قديم (حصار الموصل، الصراع الأقليمي واندحار نادر شاه، د. سيار كوكب الجميل، الموصل، ط١، ١٩٩٠/١٧٩).
(٨٥) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٦.
(٨٦) م.ن:/٢٠٦.
(٨٧) الخَلُوق: نوع من الطيب، والشّقائق: ورد أحمر.
(٨٨) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٦.
(٨٩) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/١٥٧.
(٩٠) شعر الطرد عند العرب/٢١٣، وينظر: ديوان أبي نؤاس برواية الصولي، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، بغداد، ١٩٨٠/٢٣٧.
(٩١) الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/١٠.
(٩٢) شعر الطرد عند لعرب/١٣١.
(٩٣) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٦.
(٩٤) الايضاح في علوم البلاغة ٢/٤٣٩.
(٩٥) ينظر: شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/١١.
(٩٦) حركية الصورة في شعر عثمان بكتاش الموصلي/١١٦.
(٩٧) ديوان عثمان بكتاش الموصلي/٢٠٧.
(٩٨) شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/٧٦.
(٩٩) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي، بغداد، ط٦، ١٩٨٧/١٣٠.
(١٠٠)ينظر: شعر الطرد الى نهاية القرن الثالث الهجري/١٤٠.
(١٠١)ينظر:الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري/٣١٢.
(١٠٢)شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري/٤٠٥.
(١٠٣)ينظر: شعر الطرد عند العرب/١٥٣-٢١٣، وشعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري/٢١٥-٣٨٢.
(١٠٤)ينظر: شعر الطرد عند العرب/٦٤.